شرح قصيدة أبو العتاهية قطعت منك حبائل الآمال

تعدُّ هذه القَصيدَة من أشهر قصائد الشاعر أبي العتاهية، وهي قصيدة طويلة بدأ فيها الشاعر بنوع من الحكمة مخاطبًا الدنيا، حيث يقول في مطلعها: قَطَّعتُ مِنكَ حَبائِلَ الآمالِ وَحَطَطتُ عَن ظَهرِ المَطِيِّ رِحالي، وتحتوي القصيدة على كثير من الحكم التي تتناول الحياة والزهد فيها، وقد نظمها الشاعر على البحر الكامل وقافية اللام المكسورة، وبلغ عدد أبيات القصيدة كاملة 47 بيتًا، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شَرح القَصيدة:

قَطَّعتُ مِنكَ حَبائِلَ الآمالِ
وَحَطَطتُ عَن ظَهرِ المَطِيِّ رِحالي
وَيَئِستُ أَن أَبقى لِشَيءٍ نِلتُهُ مِم
ما فيكِ يا دُنيا وَأَن يَبقى لي

يبدأ الشاعر قصيدته مخاطبًا الدنيا كنوع من الحكمة والعبرة والعظة حيث يقول: لقد يئست منك أيها الدنيا الفانية، وتخلصت من الآمال التي كانت تدفعني للتعلق بك، كما أنني زهدت في كلِّ نعيم زائل موجود فيكِ وكأنها كانت رحالًا أنزلتها عن الدابة التي أركبها وتخلصت منها، كما أنني قطعت الأمل من أن أبقى لأحد أو لشيء في هذه الدنيا أو أن يبقى لي شيء نلته في الدنيا، وأيقنت أن كل شيء على وجه الأرض زائل لا محالة.

وَوَجَدتُ بَردَ اليَأسِ بَينَ جَوانِحي
وَأَرَحتُ مِن حَلَبي وَمِن تَرحالي
وَلَئِن طَمِعتُ لِرُبَّ بَرقَةِ خُلَّبٍ
بَرَقَت لِذي طَمَعٍ وَلَمعَةِ آلِ

وقد كان ذلك اليأس الذي يئسته من الدنيا وشهواتها ومغرياتها مثل برد وراحة تسري بين جنبي وفي ضلوعي، فقد تخلصت من الطمع ومن التنقل من مكان إلى مكان طمعًا في شيء معين، وإذا ما شعرت بالطمع في شيء معين فإنَّه يبدو لي مثل برق لسحب خادعة لا يوجد فيها مطر، وإنما برق وصوت فقط ولا مطر، وهكذا هي الأطماع في الدنيا، تبرق للإنسان الجاهل بها لتغريه بالتمسك بها وهي زائلة ولا بقاء لها ولا خير فيها مثل السراب.

وَالآنَ أَبصَرتُ السَبيلَ إِلى الهُدى
وَتَفَرَّغَت هِمَمي عَنِ الأَشغالِ
وَلَقَد أَقامَ لِيَ المَشيبُ نُعاتَهُ
يُفضي إِلَيَّ بِمَفرَقٍ وَقَذالِ

وقد أبصرت الآن وبعد كل تلك السنوات التي عشتها طريق الإيمان الصحيح والهداية والطريق القويم الذي يجب أن يسير عليه الإنسان، وقد عرفت حقيقة هذه الدنيا ولذلك تخلصت من المشاغل الفانية التي تتعلق بملذات الدنيا الفانية، وتفرغت لعبادة الله تعالى، وقد صار الشيب الذي يغزو رأسي من مقدمته في الأمام إلى خلف الرأس ما بين الأذنين في الخلف مثل ناعٍ يذيع اقتراب أجلي ودنو ساعة الموت مني.

وَلَقَد رَأَيتُ المَوتَ يَبرُقُ سَيفُهُ
بِيَدِ المَنِيَّةِ حَيثُ كُنتُ جِيالي
وَلَقَد رَأَيتُ عَلى الفَناءِ أَدِلَّةً
فيما تَنَكَّرَ مِن تَصَرُّفِ حالي

وبعد ذلك صرت أرى الموت مثل فارس مغوار يحمل في يده سيفًا قاطعًا ويدور حولي أينما اتجهت، حيث أنَّنا نعيش في كل لحظة ونتوقع أن نموت دون أن ندري متى سوف يكون ذلك، وقد شاهدت كثير من الأدلة على الموت والفناء والهلاك حولي وفيَّ، رغم أنَّ تصرفاتي كانت تنكر تلك الأدلة وتتصرف بجهالة وكأنني خالد في هذه الدنيا.

وَإِذا اِعتَبَرتُ رَأَيتُ خطَّب حَوادِثٍ
يَجرينَ بِالأَرزاقِ وَالآجالِ
وَإِذا تَناسَبَتِ الرِجالُ فَما أَرى
نَسَباً يُقاسُ بِصالِحِ الأَعمالِ
وَإِذا بَحَثتُ عَنِ التَقِيِّ وَجَدتُهُ
رَجُلاً يُصَدِّقُ قَولَهُ بِفِعالِ

وعندما كنت أتعظُ وأعتبر من هذه الدنيا صرت أشاهد نوائب الدهر ومصائبه وتقلباته أمور لازمة في هذه الحياة لا تفارق أحدًا، وهي التي بتقلباتها تقدم الأرزاق للناس وتسوقهم إلى الموت، ولكن الحق أنَّه إذا أراد البشر أن يتفاخروا بأنسابهم فإنَّ أفضل نسب هي الأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان في حياته، وأمَّا الإنسان التقي الصالح فهو الشخص الذي يكون صادقًا في أقواله وأفعاله، فإذا قال صدَّق قولَه فعله.

وَإِذا اِتَّقَى اللهَ اِمرُؤٌ وَأَطاعَهُ
فَتَراهُ بَينَ مَكارِمٍ وَمَعالِ
عَلى التَّقِيِّ إِذا تَرَسَّخَ في التُقى
تاجانِ تاجُ سَكينَةٍ وَجَلالِ
وتقوى الله تعالى وطاعته في السر والعلن والعمل بمأموراته من الأمور الحميدة والتي تعود على الإنسان بالخير الكثير في الدنيا والآخرة، حيث أنَّ التقوى ترفع الإنسان ليكون بين أهل الكرم والعلا، ولا ينحدر إلى الصغائر والرذائل، والتقي يلبسه الله تعالى بسبب طاعته وإيمانه تاج من الطمأنية والسكينة التي تحلُّ في القلب، وتاج من الهيبة والوقار الذي يراه الناس فيه من حوله.

وَاللَيلُ يَذهَبُ وَالنَهارُ تَعاوُراً
بِالخَلقِ في الإدبارِ وَالإقبالِ
وَبِحَسبِ مَن تُنعى إِلَيهِ نَفسُهُ
مِنهُم بِأَيّامٍ خَلَت وَلَيالِ

والليل والنهار يأخذان الناس في كل صباح ومساء، ويكفي الإنسان الذي يشعر باقتراب أجله ما مضى وتولى من أيام ولياليي قد عاشها بحلوها ومرها.

الصور الفنية في قصيدة أبو العتاهية قطعت منك حبائل الآمال

تعدُّ قصيدة الشاعر أبي العتاهية من القصائد التي تحتوي على عدد كبير من الصور الفنية والبلاغية والتي يعتمد عليها معظم الشعراء في كتابة الشعر عادةً ومن أجل إيصال المعنى إلى الجمهور في العالم العربي بطرق غير مباشرة وأكثر جمالية، وتضفي هذه الصور البلاغية على القصائد رونقًا مميزًا إضافة إلى أساليب عديدة تعمل على زخرفة الأبيات الشعرية وتزيينها، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية في القصيدَة:

- **أسلوب الكناية**: ورد أسلوب الكناية في القصيدة أكثر من مرة كما في قول الشاعر: وَحَطَطتُ عَن ظَهرِ المَطِيِّ رحالي، كناية عن الزهد في الدنيا وعدم السعي وراء ما فيها من نعيم زائل.
- **أسلوب الطباق**: ورد أسلوب الطباق أكثر من مرة في القصيدة كما في قول الشاعر: وَلَقَد أَقامَ لِيَ المَشيبُ نُعاتَهُ يُفضي إِلَيَّ بِمَفرَقٍ وَقَذالِ، حيث أنَّ كلمة المفرق هي مقدمة الرأس وقذال هي مؤخرة الرأس فهما كلمتان متعاكستان.
- **استعارة مكنية**: وردت الاستعارة المكنية في قوله الشاعر: وَلَقَد رَأَيتُ المَوتَ يَبرُقُ سَيفُهُ، شبه الشاعر الموت بالفارس الذي يقتل ويحمل السيف ويلوح به، فحذف المشبه به وه والفارس وأبقى على إحدى صفاته التي دلت عليها جملة يبرق سيف.

معاني المفردات الصعبة في قصيدة أبو العتاهية قطعت منك حبائل الآمال

توجد الكثير من الألفاظ التي قد تكون غير واضحة وصعبة الفهم بالنسبة لبعض القراء، إذ أنَّ اللغة العربية الفصحى هي اللغة المستخدمة في كتابة الشعر والقصائد، وكثير من الكلمات الفصيحة ليست مستخدمة في اللهجات التي يتحدث بها الناس في الدول العربية، ولذلك هنالك كثير من الكلمات التي يصعب فهمها من دون البحث في المعاجم التي تفسرها وتوضح معانيها الصحيحة خصوصًا في القصائد القديمة، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح المفردات الصعبة في القصيدة:

المفردة	شرح المفردة
المطي	جمع مطية وهي الدابة التي تركَب
يئست	قطعت الأمل والرجاء
خلب	سحاب خادع لا مطر فيه
قذال	خلف رأس الإنسان ما بين الأذنين
يبرق	يلمع سيفه
خطب	الشدائد والنوائب
حوادث	تقلبات الدهر والزمان

معال	الأماكن العالية المحمودة والمقامات الرفيعة
تعاورًا	تتاليًا
تنعى	النعي خبر الموت
خلت	مضت وأصبحت ماضية
الآجال	نهاية الأعمار